مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها، فصلية علمية محكمة، العدد الـ ٦٤، خريف ١٤٠١ هـ. ش/ ٢٠٢٢ م؛ صص٢٣-١

أدب الخيال العلمي الاجتماعي في رواية "يوتوبيا" لأحمد خالد توفيق

نوع المقالة: أصيلة

عبداله حسيني[١]، فرهنگ مفاخری[٢]*

١. أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الخوارزمي، طهران، إيران.

٢. مرشح الدكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الخوارزمي، طهران، إيران.

تاريخ استلام البحث: ١٤٠٠/٠٣/١٣ تاريخ قبول البحث: ١٤٠١/٠١/٢١

الملخّص

يتناول أدب الخيال العلمي الاجتماعي أسئلة رئيسية عن تأثير التطورات العلمية والإيدولوجيات الاجتماعية الحديثة على الإنسان وهذا في حد ذاته يوفر نوعاً من التنوير حول المستقبل ويقلل من حدوث الأخطار والكوارث المحتملة. هذا البُعد من الخيال العلمي مهم بشكل خاص في الأدب العربي لأن الدول العربية لم تكن أبداً في طليعة التقدم التكنولوجي ولكنها واجهت دائماً أسوأ الكوارث الاجتماعية. وكانت بطبيعة الحال أكثر إبداعاً في هذا المجال. يقدم هذا البحث دراسة تحليلية ـ مستقبلية لرواية "يوتوبيا" على أساس المنهج الوصفي ـ التحليلي بسبب انشغال الرواية إلى موضوعات هذا الفرع من الأدب مستخدماً آراء المنظرين في مجال أدب الخيال العلمي الاجتماعى للكشف عن كيفية انعكاس مكونات هذا الفرع من الأدب في هذه الرواية. واستنتجنا أن المؤلف قدخلق ازدواجية بين اليوتوبيا والديستوبيا في الرواية وقدحاول من خلالها أن يضع يده على الندوب الاجتماعية. وقد ألهمته الحقائق المريرة في مصر والعالم العربي كالحملة الفرنسية وحرب التموز والوضع في العراق وغيرها من الظروف الاجتماعية والسياسية التي واجهته العديد من الدول العربية في التاريخ الحديث. وأخيراً يحذر القارئ من أن ينظر بشيء من الشك إلى الأيديولوجيات الجديدة ومن الممكن أن الجنّة التي نتمنى تحقيقها في ظل هذه الأيديولوجيات الجديدة لن تكون إلا جحيماً لأنّها تؤدي إلى الصراع الطبقي والاستعمار والحكومة الدكتاتورية وغيرها من المشاكل الاجتماعية.

الكلمات الرئيسة: الخيال العلمي، التنبؤ الاجتماعي، أحمد خالد توفيق، رواية يوتوبيا.

*الكاتب المسؤول Std_farhang.mafakheri@khu.ac.ir

المقدمة

إنّ موضوع التنبؤات الاجتماعية شائع في مجال أدب الخيال العلمي وخاصة فى القرن التاسع عشر، حيث كتّاب الخيال العلمي قد قاموا بإيجاد العلاقة بين هذين الموضوعين؛ بعبارة أخرى أخذوا من الحالات الاجتماعية فكرة للكتابة في مجال الخيال العلمي. وإذا اردنا التصنيف الدقيق لهذا الموضوع ومكانته في أدب الخيال العلمي، فيجب أن نعتبر التنبؤات الاجتماعية من ضمن موضوع "الطوبائيات". «إذ وضع المفكر السياسي الإنكليزي توماس مور كتاباً أسماه "يوتوبيا" وتخيّل فيه دولة أقامها على إحدى الجزر، وجعل أهلها يعملون بالزراعة والصناعة، وينظمون أوقاتهم، ويتساوون في طبقة اجتماعية واحدة» (الياسين، ٢٠٠٨: ١٨٨. نقلا عن عزام، ١٩٩٤: ٢٩). ثم اعتبر العديد من المفكرين والعلماء العلمَ هو الطريق الوحيد للوصول إلى اليوتوبيا. أما فيما بعد، بعض كتّاب الخيال العلمي ينظرون إلى هذا النوع من اليوتوبيا بنظرة الشكّ والترديد. ومن أوائل الذين كتبوا عن هذا الموضوع في آثارهم هو ألدوس هاكسلي (١٨٤٩-١٩٦٣) وخاصة روّاية "عالم رائع جديد" (١٩٣٢) التي تروي حياة البشر في المستقبل، حيث يسيطر العلم على العالم، وتختفي المشاعر ويكثر الاستعمار والظلم والاستبداد.

لكن إذا أردنا متابعة هذا النوع في الأدب العربي الحديث، فيجب أن نشير إلى أعمال أحمد خالد توفيق وخاصة روايته الشهيرة "يوتوبيا". لذلك نحاول في هذا المقال أن نبحث عن التنبؤات الاجتماعية،كأحد العناصر المكوّنة لأدب الخيال العلمي وخاصة في البلاد العربية.

الهدف من هذا البحث هو كيفية ارتباط الخيال العلمي بالقضايا الاجتماعية وتطبيقه على رواية "يوتوبيا" لأحمد خالد توفيق. للقيام بذلك، ستقدم الدراسة أولاً نظرة موجزة على تاريخ الخيال العلمي، داخل وخارج العالم العربي. ثمّ يوضح كيفية انعكاس الخيال العلمي الاجتماعي في هذه الرواية. ولتحقيق هذا الهدف، تأخذ الدراسة من أدب الخيال العلمي الاجتماعي كإطار لتحليل رواية "يوتوبيا" لأحمد خالد توفيق بسبب انشغالها بموضوعات هذا الفرع من أدب الخيال العلمي. تم استخراج مكونات أدب الخيال العلمي الاجتماعي اعتماداً على آراء المنظرين، ووجدت أمثلة منها في رواية "يوتوبيا" إلى حد كبير.

---

[1] . Thomas More
[2] . Utopia
[3] . Aldous Huxley
[4] . Brave New World

أسئلة البحث

كيف يستخدم أحمد خالد توفيق الخيال العلمي في رواية «يوتوبيا» ليعبر عن هواجسه الاجتماعية؟

ما هي خصائص اليوتوبيا التي ذكرها المؤلف في العنوان؟

ما هو المستقبل الذي قام بتصوره المؤلف لمصر والدول العربية؟

الدراسات السابقة

بعد البحوث التي أجريت حول هذا الموضوع، تبين أنّه لم يدرس رواية "يوتوبيا" –كما ينبغي أن يكون– من منظور الخيال العلمي الاجتماعي الذي يعد من أهم فروع هذا النوع الأدبي وإن كان هناك دراسات عن رواية "يوتوبيا" التي نتناول إليها:

- مقالة أبو زهرة (٢٠٢٠)، «ملامح الديستوبيا في رواية يوتوبيا للكاتب أحمد خالد توفيق عرض وتحليل»، مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، العدد التاسع و الثلاثون. درس الباحث الرواية على مستويين؛ المستوى الأول تبحث عن: الخراب النفسي والخراب المادي. أما في المستوى الثاني فخصصه للبناء الفني، وتناول فيه الباحث الحدث وأنواعه وأسلوب قص الأحداث في الرواية وطريقة الكاتب في رسم شخصياته، ثم البيئة الزمانية والمكانية وأخيراً تحدث عن سمات الأسلوب السردي.
- مقالة Houman Nazemian, (2019) Dystopia in Khalid Tawfik Utopia, International Journal of Social Sciences, Volume 5 Issue 3, pp. 251-261. يحاول فيها الباحث التدقيق في موضوع "المدينة الفاشلة" أو "ديستوبيا" في هذه الرواية اعتماداً على آراء "لوسيان غولدمان" وانعكاس صورة الذات والآخر[1] فيها.
- مقالة محمد عبدالحنان (٢٠١٧). «المجتمع المصري في رواية يوتوبيا للدكتور أحمد خالد توفيق»، مجلة أقلام هند، السنة الثانية، العدد الرابع. قام الباحث في هذه الدراسة بتحليل عناصر هذه الرواية من منظور النقد الاجتماعي ويعتقد أن الرواية خيالية قريبة من الحقيقية في الوقت الذي طبعت فيه، ولكنها أصبحت الآن رواية واقعية جداً، وقد عالج الكاتب في هذه الرواية أحوال المجتمع كما وجده في حياته، ونعني هنا بأحوال المجتمع، أحوال جماعة من الناس تعيش

[1]. Lucien Goldmann

في موقع جغرافي معين وفي وقت معين يشتركون في نواحي الحياة المختلفة من الدين واللغة والعلم والعادات والاتجاهات وما إلى ذلك ما نتصوره في حياتنا.

- مقالة إيان كامبيل (٢٠١٥). « Prefiguring E efiguring Egypt's Arab Spring: Allegor ab Spring: Allegory and Allusion in Ah y and Allusion in Aḥmad Khalid T Khalid Tawfīq's Utopia, Science Fiction Studies, «Volume 42, Part 3 = November 2015» . يتناول الباحث فيها موضوع الربيع العربي في رواية "يوتوبيا" ولكن أجرى أيضا مقارنات بين هذه الرواية وآثار هـ.ج.ويلز خاصة فيما يتعلق بموضوع العمل والرأسمالية. يستخرج الكاتب من هذه الرواية إرهاصات الربيع العربي في مصر ووصل إلى أن في رواية "يوتوبيا"، تم توقع احتجاجات الشوارع في ٢٠١١م. كما يُظهر أن مثل هذه الاحتجاجات لن تؤدي إلا إلى زيادة قوة النظام الاستبدادي. ٢
- دراسة دينار رافيسوفيتش خيروتدينوف (2014),« Ahmad Khaled Tawfik's Novel Utopia as an Important Example of the New Wave of Science Fiction in Arabic Literature, World Appl. Sci. J., 31 (2): 190-191,». يتناول الباحث رواية "يوتوبيا" لأحمد خالد توفيق باعتبارها رواية في مجال أدب الخيال العلمي ويبحث عن الأساليب البيانية فيها وتقنيات الروائية. والكاتب يعتقد أن رواية "يوتوبيا"، رغم تأثرها بالكتاب الغربيين تمكن أيضاً من تصوير مشاكل مصر اليوم اجتماعياً.

على الرغم من أوجه التشابه بين الدراسات المذكورة وبحثنا هذا، فإن الاختلاف يكمن في إطار البحث. يجب أن نشير اننا نأخذ من "أدب الخيال العلمي الاجتماعي" –باعتباره فرعاً من فروع أدب الخيال العلمي– كإطار العمل ثمّ نبحث عن مكوناته ومؤشراته في رواية "يوتوبيا" لتحديد إلى أي مدى يمكن اعتبار هذه الرواية من نوع "الخيال العلمي الاجتماعي" وهذا الموضوع لم يتناوله الباحثون حتى الآن. ليس هدفنا هو استخراج القضايا الاجتماعية من الرواية فحسب بل يسعى إلى تقديم أدب الخيال العلمي باعتباره قصة رمزية نقدية وأسلوباً للنقد الاجتماعي. وبعبارة أخرى، لا يسعى المقال لاستخراج وتحليل الموضوعات الاجتماعية في رواية "يوتوبيا"، بل يهدف إلى تعميق الموضوع على مستويين؛ المستوى الأول يتناول سبب وكيفية ارتباط أدب الخيال العلمي العربي بالقضايا الاجتماعية، والمستوى الثاني يؤكد أن أدب الخيال العلمي نفسه يمكن أن يوفر منهجية للنقد الاجتماعي وهذا يختلف اختلافاً جوهرياً عن النقد الاجتماعي للأدب (بشكل عام)، لأن أدب الخيال العلمي الاجتماعي لا يسعى إلى تصوير المجتمع كما هو مثل الواقعيين، ٤

[1] . Ian Campbell
[2]. H. G. Wells
[3] . Dinar Rafisovich Khayrutdinov
[4] . social science fiction

وأيضاً لا يصور المجتمع كما ينبغي أن يكون مثل المثاليين، لكنه يصور المجتمع كما يمكن أن يكون. وهذه الميزة خاصة بأدب الخيال العلمي الاجتماعي.

مراجعة الأدب النظري

يعدّ أدب الخيال العلمي من الأنواع الأدبيّة والذي تمّ إدراجه في مجال الأدب الروائي في العقود الأخيرة بشكل لافت للنظر. إن هناك العديد من الاختلافات فيما يتعلق بتعريف أدب الخيال العلمي، فهناك تعريفات متعددة. وعلى الرغم من أنّ كل قارئ متابع لهذا الجنس الأدبي يعرف أو على الأقل لديه حدس بديهي في تمييز ما هو خيال علمي عن سواه، لكن يمكن القول انّ مشكلة تقديم تعريف واحد لهذا النوع الأدبي «تكمن في نقطة انطلاقه، لأن هناك الكثير من الخلافات في هذا المجال. يعتبر بعض الباحثين ظهور أدب الخيال العلمي بعد ظهور الثورة الصناعية في أوروبا، عندما فتح الكون فجأة أبوابه ولم يكن هناك شيء مستحيل، وجلست الآلة على عرش السلطة، وتمّ تقديسها وبمساعدتها أصبح كل شيء ممكناً» (لانداول، ١٣٧٥ش: ١٤١). ولكن بعض النقاد يعتقدون بأن «أدب الخيال العلمي ليس وليد الثورة العلمية المعاصرة، بل إنّ هناك ملامح من الخيال العلمي في ملحمة جلجامش السومرية التي كان بطلها جلجامش ثلثه من الآلهة وثلثه من البشر» (الفريجات، ٢٠٠٨ش: ٤١). و«يعتبر البعض أيضًا أن جذوره تعود إلى الكتاب المقدس وأن قصة "سلّم يعقوب" يمكن رؤيتها من منظور الخيال العلمي» (Roberts, 2000: 49). لكن إذا قبلنا أن العلم هو أحد الركائز الأساسية لهذا النوع من الأدب، فلا ينبغي أن نبحث عن جذوره في الأدب القديم أو الفولكلور. لذلك فهو نوع أدبي مستورد من الأدب الغربي إلى الأدب العربي لأن الدول العربية كما يبدو لم تكن أبداً رائدة في التقدم التكنولوجي والصناعي.

جاء في تعريف أدب الخيال العلمي أنه «نوع من المصالحة بين العلم والأدب، أو على الأقل الجمع والتوفيق بينهما. في المرحلة الأولى استلهم العلماء الأدباء، ثم تجاوزهم، فأصبح الأدباء في مرحلة تالية، يلهثون وراء اكتشافات العلماء واختراعاتهم. فالكاتب يستخدم العلم منطلقاً بخياله الأدبي، يحلق في آفاق مستقبلية، يدفع الطموح إلى تفسير الظواهر الغامضة في الطبيعة أو في النفس البشرية، ومن هنا نشأت الأساطير التي هي نوع من أدب الخيال، وولدت ضرورة تعويد النشء على التفكير العلمي الذى يحوّل الناشىء إلى مبدع حقيقي» (عزام، ١٩٩٤م: ٩). وجاء في تعريف آخر: «إن الخيال العلمي هو الصنف الأدبي الذي يعالج مسألة الإجابة الإنسانية على التغيرات الحاصلة على صعيد العالم والتكنولوجيا» (الرملي، ٢٠١٠م: ٣١). كما أن «أدب الخيال

[1]. Science fiction

العلمي هو ذلك الفرع من الأدب الذي يتعامل مع تأثير التغيير على الناس في عالم الواقع ويستطيع أن يعطي فكرة صحيحة عن الماضي والمستقبل، وعادة ما يشمل أمور ذات أهمية بالغة» (سكولز وآخرون، ١٩٩٦م: ٣٦).

بناءاً على ما ذكر، يبدو أن أدب الخيال العلمي هو نوع من الأدب الذي يعتبر العلم جوهره الأساسي ويمزج الكاتب بين العلم والخيال من أجل بناء معرفة وأفكار جديدة حول العالم للإجابة على بعض أسئلة البشر في المستقبل. وبالطبع هذا التنبؤ مختلف تماماً عن الخيال والوهم لأن العلم والإنجازات العلمية من ركائزه الأساسية.

أمّا بالنسبة إلى أدب الخيال العلمي العربي، «فلايزال يكون محفوفاً بالخلافات والتناقضات فيما يتعلق بأصوله.إنّ مصطلح "الخيال العلمي" هو الذي أحرج النقاد العرب ولعلّ أهم النقاشات التي أثيرت حول هذا الموضوع ترجع إلى سنة ١٩٧٦م عند ظهور رواية "الطوفان الأرزق" للكاتب والروائي المغربي عبدالسلام البقالي الذي صنّف روايته هذه ضمن أدب الخيال العلمي» (الجيّار، ١٩٨٤م: ١٨٤). وفيما يتعلق بولادة نوع الخيال العلمي في الأدب العربي، يعتقد سنير[1] «أن أعمال الخيال العلمي العربي قد تشكلت في النصف الثاني من القرن العشرين بعد ترجمة العديد من الكتب العلمية وروايات وقصص الخيال العلمي للكتاب الغربيين إلى اللغة العربية، وخاصة من اللغة الإنجليزية. بعبارة أخرى، كانت لترجمة هذه الأعمال إلى العربية تأثير مباشر على ولادة هذا النوع في الأدب العربي» (Snir, 2002: 215).

وبعد ذكر هذه النظرة الموجزة، إذا أردنا أن نجد مكاناً لأدب الخيال العلمي الاجتماعي[2] ، يجب أن نقول: أنّ الاهتمام بالعلاقة بين الأدب والمجتمع أدى إلى بناء نظرية نقدية باسم سوسيولوجية الأدب، التي تعتقد بأن «الأثر الأدبي ليس إبداعاً فردياً بل هو تمثيل أو تجسيد لأفكارها الاجتماعية» (عسكري، ٢٠١٠. نقلا عن ترابي وسيدي، ٢٠١٤: ١٣٢). أما ما الفرق بين الرواية السوسيولوجية بمعناها العام ورواية تناولت أدب الخيال العلمي الاجتماعي؟ فالجواب أنّ الرواية السوسيولوجية تقدم موقفاً مما حدث أو يحدث في المجتمع أما أدب الخيال العلمي الاجتماعي يتنبّأ عن ما يحتمل وقوعه في المستقبل القريب أو البعيد من الأحوالات علمياً أو اجتماعياً، لأن التنبؤ هو جزء مهم من أدب الخيال العلمي والكاتب يستخدم النظريات العلمية ويرسم المستقبل وهذا الأمر يثير فضول المخاطب لمتابعة الأحداث. لذلك يمكننا القول أن «أدب الخيال العلمي حلقة من حلقات الرواية اليوتوبية التي تقدّم صوراً للعالم المثالي كما يتمناه عالم البشر أو كما يتمنون أن يكون في المستقبل القريب أو البعيد، بحيث تعد صورة العالم الخيالي تحذيراً لما قد

[1] . R.Snir
[2] . Social Sicence Fiction

يكون عليه العالم الحقيقي أكثر من كونها صورة لعالم مثالي يرجي تحقيقه والاحتذاء به» (قاسم، ١٩٩٣م: ٤٣). وبما أن مناقشة "اليوتوبيا" هي في الأساس قضية اجتماعية، فيمكن اعتبار الخيال العلمي بمثابة قصة رمزية تتنبأ بالاتجاهات السياسية والاجتماعية في المستقبل.

"دونالد.إف.ثيل" هو «أوّل مَن استخدم مصطلح "الخيال العلمي الاجتماعي" في عام ١٩٧٥م لوصف الخيال العلمي الذي يعتمد بشكل مباشر على أفكار من العلوم الاجتماعية» (Gerlach and Hamilton, 2003: 164). ومنذ كتابة مقالات "داركو سوفين" [٢] في أوائل السبعينيات، لقد حاول الباحثون في أدب الخيال العلمي إلى تطوير مصطلح "الخيال العلمي الاجتماعي" لوصف كيفية تفاعل الخيال العلمي مع الشؤون الاجتماعية. في هذه العملية، يميلون إلى الجمع بين جماليات الخيال العلمي –وقدرتها التمثيلية على استحضار عوالم بديلة أو مستقبلية – مع مهمتها الافتراضية لنقد العلاقات الاجتماعية. وفي الآونة الأخيرة، «ذهب روجر بوروز إلى حد القول بأن الخيال العلمي أصبح نظرية اجتماعية، بحجة أنه يصف ويحلل منظور التقنيات الاجتماعية الناشئة بشكل أكثر فعالية من الكتابات الاجتماعية التقليدية» (المصدر نفسه: ١٦٥).

فإن الخيال العلمي، في تعامله مع الواقع الاجتماعي والاهتمامات الاجتماعية العلمية، لا يعالج التطورات في العلوم والتكنولوجيا فحسب، بل يعالج أيضاً الأسئلة الرئيسية حول مؤسسات وإيديولوجيات الحضارة التقنية. وبناءاً على ما سبق ذكره يمكن القول أن الخيال العلمي له وظيفة اجتماعية حرجة ويفتح الباب أمام دراسات في مجال تداخل التخصصات.

أمّا فيما يتعلق بالأدب العربي، يبدو أن ادب الخيال العلمي الاجتماعي تم طرحه بشكل أكثر اهتماماً في الأدب العربي خاصة بعد الستينيات، حينما «كانت الدول العربية تتطلع إلى المستقبل بشعور من التفاؤل. فقد اتبعوا مسار التغيير الاجتماعي وأدّى ذلك إلى إنتاج أدبي متفائل. وعلى الرغم من بدايتها المبهجة، شهد بعدها هزيمة كبيرة للدول العربية بعد حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧م والعديد من الحروب الأهلية ورأت الدول أن حكوماتها الثورية الجديدة تتحول إلى أنظمة وحشية، مبررة حكمها بالنضال المناهض للاستعمار وتمنع أي انتقاد لاخفاقاته وأساليبه» (Custers, 219: 19). ثمّ «بشر النصف الثاني من القرن العشرين بولادة تعبير ادبي جديد عندما وصلت الأنظمة الاستبدادية إلى السلطة مع الهيمنة العسكرية والثقافية الغربية وغالباً ما يتخذ هذا التعبير شكل كوابيس مستقبلية. القيود المفروضة على الحريات واستغلال الثروة وعدم المساواة في

[1] . Donald F. Theall
[2] . Darko Suvin

الفرص ومستويات وظروف الحياة بين شعوب الغرب وشعوب العالم الثالث تدفع هؤلاء المؤلفين إلى طرح هذه الأسئلة وإثارة قلق القارئ». (Kawthar, 2012: 2) وأدت هذه العوامل إلى خلق نوع جديد من الكتابة الروائية في الأدب العربي المعاصر الذي نعرفه اليوم بأدب الخيال العلمي الاجتماعي وفيما يلي سيتمّ تطبيق مكوّناته على رواية "يوتوبيا".

نبذة عن حياة أحمد خالد توفيق (١٩٦٢– ٢٠١٨) ورواية "يوتوبيا"

«ولد أحمد خالد توفيق في مصر وتحديداً في مدينة طنطا عاصمة محافظة الغربية سنة ١٩٦٢م. وتخرّج من كلية الطب بجامعة طنطا سنة ١٩٨٥م وحصل على الدكتوراه في طبّ المناطق الحارّة سنة ١٩٩٧م. رواية "سلسلة ماوراء الطبيعة" كانت بواكير كتاباته والتي جذبت القراء بشدّة ويعدّ من أوائل الذين كتبوا في مجال أدب الخيال العلمي والفانتازيا» (هاشمي، ١٣٩٨ش: ٨٨).

«صدرت رواية "يوتوبيا" عن دار ميريت كأول رواية مستقلّة لأحمد خالد توفيق سنة ٢٠٠٨م» (عبدالحنان، ٢٠١٧: ٣). بطل هذه الرواية هو صبي يبلغ من العمر ١٦ عاماً الذي سئم من العيش في "يوتوبيا" أو المدينة الفاصلة ويريد أن يحصل على التجارب الجديدة خارج عن "يوتوبيا" فإذن قرّر الهروب من يوتوبيا مع عشيقته (جرمينال) وذهب إلى "منطقة الأغيار" أو المدينة الفاشلة وهي المكان الذي يكره فيه الناس من ساكني "يوتوبيا" بشدة. ولم يستغرق وقتاً طويلاً حتى تمّ التعرّف عليهما وكانا على وشك الموت. ولكن من بين سكان "مدينة الأغيار" كان صبي يُدعى جابر وينقذهما من المهلكة. وبعد العديد من المغامرات، يمكنهما العودة إلى "يوتوبيا" بمساعدة جابر عبر نفق كان تم حفره للسرقة من "يوتوبيا".

بحث ودراسة الموضوع

كتب أحمد خالد توفيق هذه الرواية –كما ذكرنا– عام (٢٠٠٨م) ولكنه يستشرف على المشاكل الاجتماعية التي سيبتلي بها المجتمع المصري في المستقبل القريب (٢٠٢٣م) أو البعيد. ما يهم هو أن هذه المشاكل هي مجرد تنبؤات، ويمكن أن تحدث بعضها في وقت أقرب ويمكن أن تستغرق زمن أكثر أو لا تحدث أبداً ولكن الكاتب يحذر منها لأن هذه التنبؤات هي مهمة أدب الخيال العلمي

وفي الواقع هي الغرض الرئيسي من ظهور هذا النوع الأدبي. ننتقل الآن إلى بعض تنبؤات أحمد خالد توفيق في هذه الرواية.

الاستعمار

كانت ظاهرة الاستعمار شائعة في مجال الأدب الروائي من القرن التاسع عشر حتى عصرنا هذا، امّا في بداية الأمر لا يرتبط ارتباطاً وثيقاً بأدب الخيال العلمي. ثمّ قد قاموا كتّاب الخيال العلمي بإيجاد العلاقة بين هذين الموضوعين وبعبارة أخرى أخذوا من الاستعمار فكرة للكتابة في مجال الخيال العلمي وبإمكاننا أن نجد الإرهاصات الأولى للاستعمار في ادب الخيال العلمي أثناء وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية. ومن أوائل الذين تكلموا في آثارهم عن الاستعمار هو "*راي براد بري*"[1] (١٩٢٠-٢٠١٢) وخاصة قصة "السجلات المريخية" التي تروي قصة استعمار المريخ[2] من قبل البشر الفارين من الأرض المضطربة والصراع بين السكان الأصليين في المريخ والمستعمرين الجدد. أحد الأعمال التي تقدم دراسة شاملة لنوع الخيال العلمي وعلاقته بالاستعمار والإمبريالية هو كتاب "الاستعمار وظهور الخيال العلمي" الذي كتبه "جون ريدر" سنة ٢٠٠٨م. يجادل ريدر بأن «الأيديولوجيات الإمبريالية والاستعمارية هي مكونات حاسمة لظهور الخيال العلمي ويفترض أن الروايات الاستعمارية عن "الآخر" الغريبة تعمل كأساس لأدب الخيال العلمي، وخاصة التخيلات الطوباوية للاكتشاف والتنبؤات البائسة بالكوارث» (Shishebor,2016: 9).

وأمّا بنسبة للأدب العربي، فهناك كتّاب يهتمون بهذا الفرع من أدب الخيال العلمي ومنهم توفيق الحكيم في مسرحية "شاعرٌ على القمر" (١٩٧٢م) التي فكرتها الاصلية هي الغزو واستعمار القمر من جانب البشر. وأيضاً يستخدم أحمد خالد توفيق هذه الفكرة في رواية "يوتوبيا" ومن أهم التنبؤات التي قام بتصويرها أحمد خالد في هذه الرواية هي ظاهرة الاستعمار التي قد حذّر الكاتب

[1] . Ray Bradbury
[2] . The Martian Chronicles
[3] . Colonialism and the Emergence of Science Fiction
[4] . John Rieder

من فتح باب الاستثمار الأجنبي، فهناك إشارة واضحة بهذا المعنى حين كشف الحارس الأمريكي عن أغراضهم من احتلال العراق:

- «كانت غلطتنا في العراق أننا تواجدنا وسط الناس أكثر من اللازم... سرعان ما صححنا هذا الخطأ وانسحبنا من المدن لنكثف وجودنا في قواعد مغلقة محصنة حول منابع النفط....
- معلوماتي أنكم هزمتم في العراق

ضحك كثيراً ثم استجمع أنفاسه وقال:

- أنت تتكلم مثل الأوروبيين.... بدأنا الحرب للإطاحة بالطاغية والسيطرة على النفط وتحويل ذلك البلد الغني إلى أشلاء... حسن... فعلنا هذا كله حرفيا فهل يوجد اسم آخر للنصر؟» (توفيق، ٢٠٠٨م: ٣٢).

ويبدو أنّ الاستعمار يأتي بحجة الإطاحة بحكومة دكتاتورية، لكن هدفه الأساسي هو الاستيلاء على نفط البلد المحتل. يتنبأ أحمد خالد توفيق بهذه التجربة لمصر أيضاً، ويمكن أن يكون "يوتوبيا" التي يحرسها الأمريكيون استعارة عن الاستعمار الذي لقد سيطر على الموارد المصرية وترك سكان مصر الرئيسيين (أرض الأغيار) في الفقر والفساد.

طبعاً انّ الاستعمار ليست ظاهرة جديدة ومصر كانت مستعمرة قبل كتابة هذه الرواية من جانب بريطانيا وغيرها من الدول الغربية. ولكن في هذه الرواية، يصور المؤلف نوعاً آخر من الاستعمار الذي ليس كلهم من الأجانب بل فيهم الأثرياء المصريون ونخبتهم ويبنون لأنفسهم مستعمرة في الصحراء ويستخدمون كل التطورات العلمية للسيطرة على أرض الأغيار التي كلهم من الفقراء وسكان مصر الرئيسيين. بمعنى آخر، الاستعمار هو نفسه الاستعمار، لكن شكله تغير، وهذه المرة يستخدم العلم والتقدم العلمي للسيطرة على البلدان الأخرى. و"يوتوبيا" التي تُمثّل مطلق الحرية والرفاهية لكنها ترتكب أبشع الجرائم والفظائع بحق "أرض الأغيار".

الخيانة هي سمة أخرى من سمات الاستعمار حيث الشابّ اليوتوبي –الذي بإمكاننا أن نعتبره الاستعمار أو عميل الاستعمار في هذه الرواية– خرج من يوتوبيا (الاستعمار) إلى عالم الاغيار (المستعمرة) وقتل جابر في النهاية، رغم أن جابر أنقذ حياته ومنع الفقراء من قتله هو وصديقته. كما أنّ سكوت "صفية" يمكن أن يشير إلى سكوت المجتمع المستعمر تجاه الاغتصاب من قبل الاستعمار:

- «يمكنك أن تغير معالم جريمتك لكن الحزن والصمت يبقيان... هكذا ظل (جابر) ينظر في فضول لأخته وهو يعد حاجيات الفرار. لكن الفتاة لم تتكلم. إنها باسلة فعلا.... دعك من أنها كانت صادقة في مقاومتها لي وأنا لم أر قط فتاة صادقة في مقاومتها.. هناك دوما لمسة تصنع وادعاء. هذه الفتاة كانت تكرهني فعلا.. تكره أحشائي كما يقول الأمريكان...» (المصدر نفسه: ١٦٧)

يعتبر الكاتب صمت شخصية "صفية" استعارة لصمت الأمة المغتصبة، الأمر الذي يجعل وضعها أسوأ لأنه يؤدي إلى قتل الشخصية المثقفة الوحيدة (جابر) في المجتمع المصري على يد الاستعمار. ويمكن أن يكون تقسيم هذه الرواية إلى الأقسام المختلفة، سبباً لهذه الحالة أن المستعمر ينظر إلى الناس الذين يعيشون في مستعمراته على أنهم فريسة. (الصيد، الصياد، الفريسة) وأن الصيد يمكن أن يكون المجتمع المصري الذي يعيش في فقر وبؤس ويسمى (أرض الأعيار). والصياد هو الاستعمار الذي هرب من حياته اليومية المملة إلى (أرض الأغيار) لطلب الفريسة، ويسمح بأي نوع من القتل في مستعمراته، والفريسة هم المجتمع المصري والمثقفون الذين حاولوا إنقاذ البلاد ولكن في النهاية محكوم عليه بالعدم.

هذه هي اليوتوبيا التي ذكرها المؤلف في العنوان وممّا سبق يتبيّن لنا أنّ أحمد خالد توفيق بوصفه كاتباً مستقبلياً، ليس متفائلاً بمستقبل مصر، ويتبّأ أن هذه المدينة الفاضلة التي كانوا ينظرون إليها بعد الاستقلال، هي مجرد سراب ولن تكون سوى يوتوبيا للمستعمرين وسيكون خراباً لسكان البلاد الأصليين. مايجب أن نلفت الانتباه إليه هو أن المؤلف يتناول هذه الثنائية (الاستعمار والمستعمرة) في جميع أنحاء القصة تحت عنوان "يوتوبيا" و"أرض الأغيار".

الصراع الطبقي

تعدّ قضية الصراع الطبقي نظرية اجتماعية بحيث «يعتقد كارل ماركس أن الصراع الطبقي هو محرك التاريخ وينقل المجتمع من حالة اجتماعية بنيوية إلى أخرى عبر عملية التغيير الكلية التي هي نتيجة حتمية لهذا الصراع وأطراف الصراع هما طبقتان: طبقة مالكة لوسائل الإنتاج ولثروة المجتمع ومهيمنة على السلطة النفوذ الواسع على المجتمع، وطبقة فاقدة للثروة ولوسائل الإنتاج». (عامر، ٢٠١٠م: ١٠٩)

يأخذ كاتب الخيال العلمي هذه النظرية ويحذر من المستقبل العلمي للبشر، على الرغم من أنّ العديد من المشكلات البشرية يمكن حلها بواسطة العلم. فإن الصراع الطبقي بين الأغنياء والفقراء لن يختفي فحسب بل يصبح أكثر فأكثر.

فإنّ الفكرة الأساسية في هذه الرواية قائمة على الصراع بين طبقتين، طبقة رأسمالية التي تعيش في "يوتوبيا" وطبقة الفقراء التي تعيش في "أرض الأغيار"، ويبدو أن هذه الطبقة هي المجتمع المصري في عام ٢٠٢٣م. يعتقد الكاتب أن الرأسمالية غير المقيدة لن تؤدي إلا إلى زيادة الانقسام بين الطبقات واللامساواة الاجتماعية:

– بالطبع لا تفهمان شيئاً من الوضع الذي صرنا إليه.....لكني أكره ألا أخبركما بكلّ شيء... الصورة التي ترايانها كانت موجودة منذ البداية لكن بشكل غير واضح، ثم تضخمت شيئاً فشيئاً....يصير الأغنياء أغنى والفقراء أفقر.... (توفيق، ٢٠٠٨م: ١٠٦)

يحظي موضوع الفقر عند أحمد خالد توفيق بأهمية بالغة، حيث نجد أول ميزة ينقلها بطل الرواية عن أرض الأغيار هي موضوع الفقر فيها. والكاتب يصور مستقبلاً يغرق الناس في الفقر والبؤس. ولكن النقطة المثيرة للاهتمام هي أن البطل لا يرى "يوتوبيا" كسبب لفقر "أرض الأغيار" بل ينظر إلى هذا الموضوع برؤية معاكسة ويعتقد أن الفقر هو الذي أدى إلى إيجاد "يوتوبيا":

«الآن فقط أفهم لماذا عزلنا أنفسنا في (يوتوبيا)... لم يعد في هذا العالم إلا الفقر وإلا الوجوه الشاحبة التي تطل منها عيون جاحظة جوعى متوحشة... منذ ثلاثين عاما كان هؤلاء ينالون بعض الحقوق أما اليوم منسيون تماما.... حتى الكهرباء والماء مشكلة فردية لكل منهم... من استطاع أن يحصل على مولد أو يحفر بئرا فبها ونعمت...وإلا أن يحتمل..... (المصدر نفسه: ٥١)

نرى أن "جابر" باعتباره الشخصية الوحيدة التي تنتمي إلى طبقة المثقفين، يصاب بالفقر الشديد وهو باعتباره بطل القصة، وصل إلى هذه النتيجة أن الفقر لن يستطع أن يتغلب على الثروة:

«ظلام الليل والصحراء... ظلام الاحتمالات والأفكار... أعرف أنني أستطيع قهر (جابر) لو هاجمنا... لن ينتصر الفقر والشحوب وسوء التغذية على الثراء والرياضة منذ الصغر» (المصدر نفسه: ٢٦).

نحن نرى أيضا القضاء على الطبقة الوسطى في رواية "يوتوبيا" حيث يصوّر الكاتب مستقبلا ينتشر فيه الفقر وهناك طبقتان فقط، الأقلية الغنية والأغلبية الفقيرة. وإن "جابر" هو يمثل الطبقة

الوسطى التي لجأ إلى قراءة الكتب لتسكين آلامه. ينضم جابر في هذه الرواية إلى طبقة الفقراء ويعاني من اليأس والإحباط لأنه يعتقد أن المجتمع بدون الطبقة الوسطى محكوم بالعدم.

«الطبقة الوسطى التي تلعب في أي مجتمع دور قضبان الجرافيت في المفاعلات الذرية.. انها تبطئ التفاعل ولولاها لانفجر المفاعل. مجتمع بلا طبقة وسطى هو مجتمع قابل للانفجار» (المصدر نفسه: ٧٣).

يحاول جابر في هذه الرواية، بذل قصارى جهده لخلق الوعي لدى مجتمع الأغيار، لكن لن يحدث هذا الأمر. وأخيراً، عندما يرى أن سكان (أرض الأغيار) قرروا قتل بطل الرواية وعشيقته (جرمينال)، يضحي بنفسه ويساعدهما على الهروب إلى "يوتوبيا".

الحرية في تعاطي المخدرات

يعدّ تعاطي المخدرات، سواء أكان حقيقياً أم متخيلاً، موضوعاً شائعاً في أدب الخيال العلمي الاجتماعي ويمكن أن نعتبر رواية "عالم رائع جديد" لألدوس هاكسلي[2] أول رواية تتناول هذا الموضوع في إطار الخيال العلمي. يذكر ألدوس هكسلي في روايته عقار، اسمه "سوما" الذي يستخدم لتحقيق السلام، وتستخدم الحكومة العالمية هذه المادة للسيطرة على المشاعر المتمردة، وفي الحقيقة أصبحت شكلاً من أشكال الترفيه في المجتمع وحل محل الدين.

يذكر توفيق مجموعة متنوعة من المخدرات الحقيقية والخيالية، ويعتقد أنها ستدمنها غالبية المجتمع المصري في المستقبل ومنها: "فلوجستين" و"الكُلة" و"البانجو" و"الصراصير". وفي الواقع، الميزة المشتركة الوحيدة بين يوتوبيا وأرض الأغيار هي الإدمان المنتشر في كليهما. في "يوتوبيا" لا توجد أي قيود في تعاطي المخدرات:

«هناك في يوتوبيا تسيل أنهار الفلوجستين... إنهم يأكلونه ويشربونه...إنهم يعرفونه... إنّه طمث النساء وبول الرجال... صنابير الماء لا ينزل منها ماء بل فلوجستين...لو حدثت ثورة يوماً ما فلن تكون من أجل المساواة، بل من أجل مطالبة المحرومين بحقهم الطبيعي في الفلوجستين» (توفيق، ٢٠٠٨م: ٦٧).

فإذن نرى أن الكاتب يعتقد أن المخدرات ستصبح مطالبات الناس أيضاً وهم لا يبحثون عن حريتهم وحقوق الإنسان الأخرى، بل يبحثون عن المخدرات. وإذا حدثت ثورة، فإنها ستكون من

[1] . Brave New World
[2]. Aldous Leonard Huxley

أجل المخدرات. وفي "مدينة الأغيار" أيضاً، أصبحت المخدرات الهدف الرئيسي للسكان وهذه المخدرات تُعطى لهم حتى لا يفكروا في الانتقام من طبقة "يوتوبيا":

«يبدو أنهم كانوا جميعا يعرفون ما يتكلم عنه....على الفور نسّوا كل شيء عن الانتقام، وانقضوا على الأمبول وراحوا يتبادلون الشتائم البذيئة... فجأة لم يعد لنا وجود» (المصدر نفسه: ٩٦).

بقى أن نشير إلى أن المخدرات في هذه الرواية ليست مجرد عقار يستخدمه الناس من أجل المتعة، بل لها فلسفة سياسية بمعنى أن الحكومة توفر هذه المادّة لمواطنيها بكثرة حتى تتحكم بهم. وبعبارة أخرى، تستخدم الحكومة المخدرات كأداة للسيطرة على المواطنين، لأنها تمنع الناس من المطالبة بحقوقهم. وحتى على هذا المستوى، ثمة انقسام بين "يوتوبيا" و"أرض الأغيار" وهناك نوع من الظلم في المخدرات، بمعنى أن سكان يوتوبيا لديهم مخدرات أفضل جودة من سكان أرض الأغيار، ويبدو أنّ أحمد خالد توفيق يريد إظهار الظلم والصراع بين المجتمعين (أرض الأغيار ويوتوبيا) على هذا المستوى أيضاً.

الحكومة الشمولية

النظرية الأخرى التي كان لها تأثير عميق على أدب الخيال العلمي هي نظرية إيمانويل كانت[1] عن حكومة عالمية يتم فيها تشكيل الحكومة القائمة على الوحدة السياسية بين جميع دول العالم ومنع أي حرب في المستقبل. هذه النظرية، لكونها متعلقاً بالمستقبل، أصبحت بالتأكيد موضوعاً لكتابة الخيال العلمي، وقد صورها الجيل الأول من كتاب الخيال العلمي مثل "H. G. Wells". لكن هناك بعض من كتاب الخيال العلمي الذين تحدوا هذه الفكرة كألدوس هاكسلى في رواية "عالم رائع جديد" وصوّر عالماً تستخدم فيه الحكومة التطورات العلمية للسيطرة على الناس وزيادة الظلم والقمع. فإذن موضوع الحكومة العالمية من أبرز موضوعات أدب الخيال العلمي خاصة في السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية.

أمّا فيما يتعلق بأدب الخيال العلمي العربي، أول كاتب أختار هذا الموضوع للكتابة هو "توفيق الحكيم" في قصة "في سنة ميليون" التي يتصور فيها عالماً يتم فيه القضاء على الموت والدين والعاطفة والأخلاق، والناس ليس لديهم وعي بهذه الأمور حتى وجد بطل القصة في سقفه شخصاً ضرب من قبل النيزك وأخذه فورا ليكون الدليل أنه ليس هناك شيئاً أبدياً في هذا العالم.

[1] . Immanuel Kant

فعلمت الحكومة العالمية هذا الأمر وبادرت تستخلص من هذا الرجل لكي لا يتأثر الناس بآرائه، ثمّ وضع الحرب بين البطل والحكومة.

لقد ناقش أحمد خالد توفيق في رواية "يوتوبيا" هذا الموضوع بطريقة مختلفة؛ في هذه الرواية قدمت الحكومة العالمية كل التسهيلات الرفاهية لسكان يوتوبيا بواسطة التقنيات الجديدة، لكنها في المقابل ارتكبت كل أنواع القهر تجاه أرض الأغيار:

- (يوتوبيا).... المتسعمرة المنعزلة التي كونها الأثرياء على الساحل الشمالي ليحموا أنفسهم من بحر الفقر الغاضب بالخارج، والتي صارت تحتوي كل شيء يريدونه..... يمكنك أن ترى معي معالمها... البوابات العملاقة.... السلك المكهرب... دوريات الحراسة. التي تقوم بها شركة (سيفكو) التي يكون أكثر العاملين فيها من (المارينز) المتقاعدين... أحياناً يحاول أحد الفقراء التسلل للداخل من دون تصريح، فتلاحقه طائرة الهليوكوبتر وتقتله كما حدث في ذلك المشهد الذى يفارق خيالي..... (توفيق، ٢٠٠٨: ٢٠).

لكن هذه الحكومة الديكتاتورية تحاول السيطرة الكاملة على مجتمعها وسرعان ما توقف أي حركة ضدها:

- إن النظام الأمني معقد متطور اليوم.... هناك ستة أجهزة أمنية تراقب بعضها ومهمة كل منها حماية الحكام... إن ثورات اليوم هي أقرب إلى (هوجة) ثم تحلق طائرات الهليوكبتر لتلقي عدة قنابل وتطلق عدة طلقات فيتفرق الجميع. (المصدر نفسه: ١١٨).

هذه الحكومة لديها علاقات ودية للغاية مع إسرائيل وقد اختارت حراس "يوتوبيا" من الأمريكيين. بينما تعرض السكان الأصليون للقمع والاغتصاب والخيانة. يمكن أن تكون هذه الصورة استعارة لمستقبل مصر، المستقبل الذي تنبأ بها أحمد خالد توفيق في هذه الرواية. والجزء الأساسي منها يعالج تطبيع العلاقات بين الحكومة الديكتاتورية مع إسرائيل، وهو ما يصوره الكاتب من خلال الحوار بين الشخصيات:

«هل لديكم إسرائيليون في يوتوبيا؟

قلت في دهشة:

- كثيرون... أعز أصدقائي منهم...
- قال وهو يعاود المضغ:

- هذه سمة مهمة لدى قومك... لقد اتخذوا موضعهم في الشرق الأوسط الجديد الذى كانوا يتحدوثوا عنه... مال خليجي (قبل أن ينضب).. ذكاء إسرائيلي... أيد عاملة مصرية رخيصة... نحن الفقراء لم نكف عن اعتبار إسرائيل عدواً.

قلت في غيظ من كل هذه المحاضرة:

- ولماذا أعتبر إسرائيل عدواً؟... هل لمجرد أن هذا يروق لك؟ » (المصدر نفسه: 108).

فإذن في العالم الذي صوره أحمد خالد توفيق، الأغنياء (يوتوبيا) قاموا بإيجاد علاقة ودية للغاية مع إسرائيل، لكن الفقراء ما زالوا يعتبرون إسرائيل عدوهم. وجابر باعتباره الشخصية المثقفة الوحيدة في هذه الرواية، يدرك أن السبب الرئيسي للفقر في مجتمعه هو التدخل الإسرائيلي فيه. ولهذا يعتبر إسرائيل العدو الرئيسي للفقراء. ولعل من أهم التنبؤات التي يستشرف بها أحمد خالد توفيق في هذه الرواية سنة ٢٠٠٨م، هي مشروع التطبيع مع الكيان الصهيوني الذي تحقق عام ٢٠٢٠م من جانب بعض الدول العربية.

الخاتمة

استخدم أحمد خالد توفيق الخيال العلمي كأسلوب للنقد الاجتماعي في كتابته لرواية "يوتوبيا" وينقلنا إلى مستقبل يكشف عن هواجسه. بعد دراسة الرواية، توصلنا إلى استنتاج مفاده أن الكاتب ليس متفائلاً على الإطلاق بشأن المستقبل الاجتماعي لمصر (بشكل خاص) والدول العربية (بشكل عام). وعلى الرغم من حدوث التقدم العلمي والتكنولوجي، الا أن هذا لن ينتهي إلى سعادة المصريين فحسب بل أصبح أداة للهيمنة والسيطرة والقهر. ويبدو أن بطل هذه القصة هو رمز للمثقفين في مصر، الذين يبذلون قصارى جهدهم لإنقاذ البلاد ونشر الوعي ولكن دون جدوى، وفي النهاية سيصبح ضحية لهذه الطريقة.

عنوان هذه الرواية هو "يوتوبيا"، لكن المؤلف قدخلق ازدواجية بين اليوتوبيا والديستوبيا في الرواية التي يمكن رؤيتها في جميع أنحاء الرواية. وقد حاول من خلالها أن يضع يده على الندوب الاجتماعية وإنّ هذه التحليلات من زوايا النص يمكن أن يقودنا إلى قراءة جديدة لهذه الرواية

وهي قراءة مستقبلية للوضع الاجتماعي الذي يقدمه الكاتب في إطار أدب الخيال العلمي ويحذر القارئ من المستقبل وعليه أن ينظر بشيء من الشك إلى المستقبل العلمي والأيديولوجيات الحديثة، فمن الممكن أن الجنة التي نتمنى تحقيقها في ظل هذه الأيديولوجيات لن تكون إلا جحيماً.

المصادر والمراجع

الف) الكتب

- توفيق، أحمد خالد. (٢٠٠٨م). ***يوتوبيا***؛ القاهرة: دارميت.
- سكولز، روبرت وآخرون. (١٩٩٦م). ***آفاق أدب الخيال العلمي***؛ مترجم حسين شكري، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- عامر، مصباح. (٢٠١٠م). ***علم الاجتماع، الرواد و النظريات***؛ ط١، الجزائر: دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع.
- عزام، محمد. (١٩٩٤م). ***الخيال العلمي في الأدب***؛ الطبعة الأولى، دمشق: طلاسدار.
- قاسم، محمود. (١٩٩٣م). ***الخيال العلمي أدب القرن العشرين***؛ القاهرة: الدار العربية للكتاب.

ب) المقالات

- ترابي، عبدالقاسم وسيد حسين، سيدي (٢٠١٤م). «روايات نجيب محفوظ في ضوء النقد الاجتماعي مع عناية خاصة برواية «أولاد حارتنا». ***مجلة إضاءات نقدية***، السنة الرابعة، العدد الثالث عشر، صص ١٤٦-١٢٥.
- الجيّار، مدحت (١٩٨٤م). «جدلية الحداثة والمعاصرة في رواية الخيال العلمي»؛ ***مجلة فصول***، العدد ٤، صص١٨٠-١٩٢.
- الرملي، محسن. (٢٠١٠م). « في رواية الخيال العلمي»؛ ***مجلة شؤون ثقافية***، العدد ٣١، صص٢٩-٣٨.
- محمد عبدالحنان. (٢٠١٧م). «المجتمع المصري في رواية يوتوبيا»؛ ***مجلة أقلام هند***، السنة الثانية، العدد الرابع.

- الفريحات، عادل. (٢٠٠٨م). «الخيال العلمي في التراث»؛ ***مجلة الخيال العلمي***، العدد الثاني، صص٤٠- ٤٦.
- لاندوال، سام. جي. (١٣٧٥ش). «داستان علمی- تخیلی چیست»، ترجمه: محمد قصاع، ***ادبیات داستانی***، شماره ٣٩، صص١٣٧ – ١٤٣.
- هاشمي، سيد حسن وآخرون (١٣٩٨م)، «اللغة بين الورقية والرقمية، أنموذجية لقصة ربع مخيفة للكاتب أحمد خالد توفيق»؛ ***مجلة بحوث في اللغة العربية***، العدد ٢١، صص٩٩-٨٥.

ج) الرسائل والأطاريح

- الياسين، محمد عبدالله. (٢٠٠٨م). ***الخيال العلمي في الأدب العربي الحديث في ضوء الدراسات المقارنة***؛ بإشراف غسان، مرتضى، أطروحة جامعية لنيل درجة الماجستيرفي اللغة العربية وآدابها، جامعة البعث، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية.

د) المصادر الأجنبيّة

- Adam, R (2000). ***SCIENCE FICTION***. First published. London and New York: Penn State University Press.

- Custers, D. (2019). ***Arabic Science Fiction as Vehicle for Criticism The case of Ibrāhīm Naṣrāllah's Ḥarb al- Kalb al- Thāniyyah,*** Presented in fulfilment of the requirements for the degree of Master of Arts in Arabic and Islamic Studies, KU LEUVEN, FACULTY OF ARTS, LEUVEN, BELGIË.

- Kawthar Ayed. (2012). ***La science-fiction arabe: Une transgression littéraire pour une transgression politique***, Laboratoire des etudes maghrEbines, francophones, comparEes et mediation culturelle.

- Neil Gerlach and Sheryl N. Hamilton. (2003). ***Introduction: A History of Social Science Fiction,*** cience Fiction Studies Vol. 30, No. 2, Social Science Fiction, pp. 161-173.

- Reuven, S (2012). "***Science fiction in Arabic literature: Translation, adaptation,* Original Writing and Canonization**", Arabic Language & Literature (Seoul) 2, pp. 209-229.

- Roger Allen. (1992). "***The Mature Arabic Novel Outside Egypt." In Modern Arabic Literature***. eds. Muḥammad Muṣṭafā Badawī. Cambridge University Press: Cambridge, 193-223.

- Shishebor, E (2016). "***Science Fiction and Postcolonialism: An Analysis of Ray Bradbury's The Martian Chronicles***". A Thesis Submitted in Partial Fulfillment of Masters of Arts Degree in English Literature at Shahid Chamran Univiersity.

References

A) Books

- Aamir, M (2010). **Sociology, pioneers and theories**. Algeria: Dar Al-Umma for printing, publishing and distribution.
- Adam, R (2000). ***SCIENCE FICTION***. First published. London and New York: Penn State University Press.
- Azzam, M (1994). **Science fiction in literature**. First Edition, Damascus: Talasdar.
- Khalid Tawfik, A (2008). **Utopia**, Cairo: Darmit.
- Qasim, M (1993). **Science fiction twentieth century literature**. Cairo: Arab Book House.
- Scholes, **R** (1996), **Science Fiction**, Translator Hussein Shoukry, Egypt: The Egyptian General Book Organization.

B) Articles

- Al-Fraihat, A (2008). ***"Science Fiction in Heritage"***; Science Fiction Magazine, No. 2, pp. 40-46.
- Hashemi, Seyed Hassan and others (1398), ***"Analysis of Digital Interactive Fiction of 'Robe Mokhaiefeh' by Ahmad Khalid Tawfiq"***, Research in Arabic Language,Vol: 11, No. 21, pp. 85-99.
- Kawthar Ayed. (2012). ***La science-fiction arabe: Une transgression littéraire pour une transgression politique***, Laboratoire des etudes maghrEbines, francophones, comparEes et mediation culturelle.
- Lundwall , Sam **J**. (1375), ***"What is a science-fiction story"***, translated by: Mohammad Qasaa, Literature, No. 39, pp. 137-143.
- Medhat**, J** (1984). ***"The dialectic of modernity and contemporary in the science fiction novel"***; Fosoul Magazine, No. 4, pp. 180-192.
- Mohamed (2017). ***"Egyptian Society in the Novel of Utopia"***; Aqlam Alhind Magazine, year2, NO 4.
- Neil Gerlach and Sheryl N. Hamilton. (2003). ***Introduction: A History of Social Science Fiction,*** cience Fiction Studies Vol. 30, No. 2, Social Science Fiction, pp. 161-173.
- Ramli, M (2010). ***"In a science fiction novel"***, Journal of Cultural Affairs, No. 31, pp. 29-38.
- Reuven, S (2012). "***Science fiction in Arabic literature: Translation, adaptation,* Original Writing and Canonization**", Arabic Language & Literature (Seoul) 2, pp. 209-229.
- Roger Allen. (1992). "***The Mature Arabic Novel Outside Egypt." In Modern Arabic Literature***. eds. Muḥammad Muṣṭafā Badawī. Cambridge University Press: Cambridge, 193-223.
- Shishebor, E (2016). "***Science Fiction and Postcolonialism: An Analysis of Ray Bradbury's The Martian Chronicles***". A Thesis

Submitted in Partial Fulfillment of Masters of Arts Degree in English Literature at Shahid Chamran Univiersity.

- Turabi, Q and Sayed Hussein, S (2014). ***"Naguib Mahfouz's novels in light of social criticism, with special attention to the novel The Children of Our Neighborhood".*** Rays of Criticism, Year 14, NO 10, pp. 125-146.

C) Theses

- Al-Yassin, M (2008). ***Science fiction in modern Arabic literature in the light of comparative studies***. Under the supervision of Ghassan, Mortada, a university thesis for a master's degree in Arabic language and literature, Al-Baath University, College of Arts and Humanities, Department of Arabic Language.
- Custers, D. (2019). ***Arabic Science Fiction as Vehicle for Criticism The case of Ibrāhīm Naṣrāllah's Ḥarb al- Kalb al- Thāniyyah,*** Presented in fulfilment of the requirements for the degree of Master of Arts in Arabic and Islamic Studies, KU LEUVEN, FACULTY OF ARTS, LEUVEN, BELGIË.

ادبیات علمی ـ تخیلی اجتماعی در رمان «یوتوبیا» اثر احمد خالد توفیق

نوع مقاله: پژوهشی

عبداله حسینی[۱]، فرهنگ مفاخری[۲]

۱. استادیار گروه زبان و ادبیات عربی، دانشکده ادبیات و علوم انسانی، دانشگاه خوارزمی، تهران، ایران.

۲. دانشجوی دکتری زبان و ادبیات عربی، دانشکده ادبیات و علوم انسانی، دانشگاه خوارزمی، تهران، ایران.[۱]

چکیده

ادبیات «علمی- تخیلی اجتماعی» به تأثیر پیشرفت‌های علمی و ایدئولوژی‌های نوپدید بر انسان می‌پردازد. این امر به خودی خود نوعی آینده‌نگری است که از خطرات و فاجعه‌هایی که در آینده امکان رخ دادن آن‌ها وجود دارد، روشنگری می کند. این بُعد از ادبیات علمی-تخیلی در ادبیات عربی از اهمیت ویژه‌تری برخوردار است زیرا کشورهای عربی اگر چه که هیچ‌گاه در پیشرفته‌های فناورانه پیشگام نبوده‌اند اما همیشه با بدترین فاجعه‌های اجتماعی دست و پنجه نرم کرده‌اند و طبیعتا بیشترین خلاقیت را نیز در این زمینه داشته‌اند. پژوهش حاضر، تحلیلی آینده‌نگرانه درباره رمان «یوتوبیا» براساس روش توصیفی- تحلیلی و با تکیه بر آراء صاحب‌نظران در زمینه ادبیات علمی- تخیلی اجتماعی ارائه می‌دهد زیرا شاخصه‌های این شاخه ادبی در رمان به وضوح دیده می‌شود. و به این نتیجه رسیده است که نویسنده، دوگانه‌ای از آرمان‌شهر و ضد آرمان‌شهر را خلق کرده و در سراسر رمان آن را پیش می‌برد تا در خلال آن از زخم‌های اجتماعی پرده بردارد. به نظر می‌رسد که حقایق تلخ کشورهای عربی مانند: حمله فرانسه، جنگ تموز، وضعیت عراق و .... -که کشورهای عربی در تاریخ معاصر با آن روبرو بوده اند- الهام بخش او بوده و در نهایت هشدار می‌دهد که نسبت به ایدئولوژی‌های نوپدید با دیده شک و تردید نگاه شود، زیرا ممکن است بهشتی که آرزوی تحقق آن می‌رود در سایه‌ی این ایدئولوژی‌های جدید، به یک جهنم بدیل شود که منجر به تضاد طبقاتی، حکومت دیکتاتوری، استعمار و دیگر مشکلات اقتصادی شود.

کلیدواژه‌ها: ادبیات علمی- تخیلی، پیش بینی اجتماعی، أحمد خالد توفیق، رمان یوتوبیا.

*نویسنده مسئول std_farhang.mafakheri@khu.ac.ir

Social Science Fiction in the novel "Utobia" by Ahmad Khaled Tawfiq

Article Type: Research

Abdollah Hosseini[1], Farhang Mafakheri[2]

[1.] Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Literature and Humanities, Kharazmi University, Tehran, Iran.

[2.] Ph.D candidate of Arabic Language and Literature, Faculty of Literature and Humanities, Kharazmi University, Tehran, Iran.

Abstract

"Social science fiction" literature deals with the impact of scientific advances and emerging ideologies on human beings, this is a kind of foresight that predicts the dangers and catastrophes that may occur in the future. This aspect of science fiction is of particular importance in Arabic literature because the Arab countries have never been at the forefront of technological advances, but they have always dealt with the worst social catastrophes, and naturally they are also the most creative in this field This research presents a futuristic analysis of the "Utopia" novel based on a descriptive-analytical method and relying on the opinions of experts in the field of social science fiction literature because the characteristics of this literary branch are clearly seen in the novel. And it concludes that the author creates a duality of utopia and anti-utopia and promotes it throughout the novel in order to expose social wounds during it. And it was inspired by the bitter truths of the Arab countries, such as the French invasion, the July war, and the situation in Iraq and etc. which the Arab countries have faced in contemporary history, and finally warns that they are skeptical of emerging ideologies. And look with suspicion, because the paradise that dreams of being realized may be just a hell in the shadow of these new ideologies which leads to class conflict, dictatorial rule, colonialism and other economic problems.

Keywords: Science Fiction, Social Prediction, Ahmad Khalid Tawfiq, Utopia.

*Corresponding Author Std_farhang.mafakheri@khu.ac.ir